دوافع الإنسان في العمل الفني (المحاضرة ٣)

م. م. رويدة وعدالله محمد

هناك دوافع خاصة أخذت بتفكير الإنسان وقادته إلى تنفيذ أعماله الفنية البديعة، وبما أن ذلك الإنسان كان صياداً ماهراً يعتمد في غذائه على مطاردة تلك الحيوانات التي عاصرته والتي كانت تهدده بالفناء والزوال، مما أدى إلى شغل هذه الحيوانات تفكير الإنسان وطاقته، كما كان لواقعه المر في حياته اليومية والمخاوف التي كانت تحيط به، السبب في دفعه إلى إبتكار طريقة تتفق مع مستواه العقلي للسيطرة على تلك الحيوانات والتخلص من شرورها، وهذا ما دفعنا إلى الترجيح بأن تكون تلك الطريقة نوعاً مِن السحر أو إحدى أساليبه.

كما كان الإنسان القديم يرسم صورة مطابقة للحيوانات معتقداً بأنها ستمكنه من صيد تلك الحيوانات والسيطرة عليها، وكلما كانت الصورة مطابقة للأصل كانت الصورة مطابقة للأصل كانت عملية الصيد أكثر نجاحاً. وعليه فإن الغرض من عملية الرسم وممارسته هو تحقيق هدف إقتصادي سعى إليه ذلك الإنسان مِن أجل الحصول على قوته وغذائه وأن هدف الفنان القديم من رسم الحيوانات كان هدفاً مادياً بالدرجة الأساس. لهذا كان الفن في تلك العصور الموغلة في القدم بعيدا لأن تكون أداة للتعبير عن الشؤون المعنوية التي لم تعني شيئاً عنده، بل كانت الحاجة مادية، وبذلك نشأ الفن ليخدم حياة الإنسان ويحقق وجوده ولم يقصد به زخرفة ولا تجميل.

ومِن المؤكد أن المستوى الفني لتلك الأعمال لم يصل لدرجة النضوج دفعة واحدة، وإنما مر بمراحل تطورية، حيث كان لزيادة الخبرة والممارسة مع الزمن دوراً مهماً فيها. ومِن الدوافع لإنتاجه العمل الفني طريقة لقتل وقت الفراغ، وإستغلال حدث حصول الإنسان على طريدته بعد المعاناة والجهود التي يبذلها في مطاردته ذلك الحيوان، فبعد صيدها والتلذذ في أكلها، لا شك أنه لجأ للراحة والهدوء ومن المحتمل كان لخياله دور في إستعراض شكل الحيوان الذي إصطاده، ومدى قوته وحركاته وكيفية مطاردته، فمن خلال الرسم كان يسترجع مع نفسه قصة كفاحه اليومي ونشوة إنتصاره. كما لا يخلو وجود حافز فني لدى رسام الكهوف، إذ ليس من المعقول أن يمارس الفن كل أفراد الجماعات البشرية التي عاشت

فـي هـذه الفتـرة فـالراجح أن بعـض أفـراد تلـك الجماعـات مارسـو الفـن عن حب وتلذذ بالإنتاج الفني.

فن العمارة في العصر الحجري الحديث المعدني

أدى استقرار الإنسان بسبب ممارسة الزراعة الى ظهور فن العمارة . والتي اتصفت بالنقاط التالية:

١- تنوع وظائف الأبنية .
٢- حسن ترتيب مخططاتها الهندسية .
٣- تكييف مادة الطين لإستخدامها في البناء .
٤- تميزت بعض الأبنية بطراز خاص له صفات مشتركة مع الأبنية الدينية (المعبد) .

مميزات الأبنية الدينية

١- تزيين جدرانها الخارجية بالطلعات والدخلات . (وهي ميزة معمارية وظيفتها تقوية وإسناد جدران البناء) .
٢- توجيه جدرانها الأربعة للجهات الأربع .
٣- مستطيلة الشكل تتألف من ساحة مستطيلة.
٤- يمتد على طول ضلعيها الطوليين عدد من الغرف.
٥- تعزل أكبر غرفة في مكان مميز ليوضع فيها تمثال خاص بالرمز المعبود من قبل إنسان ذلك العصر(بدون شك أن ذلك له علاقة بشكل عام بممارسات تعبدية مرتبطة حينذاك بعبادة قوى الخصب والتكاثر).

فن الفخار

جاء إختراع الفخار بعد أن عرف الإنسان إمكانية تصلب الطين عند تعرضه لحرارة النار. وكان في البداية ضرورة ملحة لخزن ما يزيد عن حاجة المزارعين من حبوب لإستخدامها عند الحاجة. كما أُستخدم في الدفن والطقوس والشعائر الدينية. واستخدم في الطبخ ونقل الماء وخزن السوائل المختلفة.

صناعة الفخار

كانت تشكل باليد من طينتها غير نقية وتحتوي على الشوائب. كما كانت تمزج بدون إعتناء بقطع كبيرة نوعاً ما من التبن. سطوحها خشنة غير مطلية وغير مدلوكة. اسلوب حرقها كان رديئاً فمعظمها تكون هشة. ذات اشكال قليلة التنوع لقلة استعمالاتها وتقتصر على أشكال الجرار والقوارير. زخارف الآنية كانت بسيطة.

صناعة الفخار في بداية العصر الحجري الحديث

١- كانت زخارفها بسيطة وتظهر غالباً على السطوح الخارجية.
٢- تفتقر إلى الأناقة وحسن التنظيم والإهتمام والدقة.
١- أُحادية اللون تنتج من إستخدام تربة اوكسيدية تعرف بالمغرة الحمراء. تضاف الى سطوح الآنية بعد مزجها بالماء وقليل من الصمغ للتثبيت فتكسبها الحرارة لوناً بنياً أو أحمراً في أغلب الأحيان.

صناعة الفخار في أواسط وأواخر العصر الحجري الحديث

١-حدثت نقلة نوعية كبيرة في تقنية صناعة الفخاريات.
٢- عملت الآنية من طينة مغسولة ومنقاة من الشوائب.
٣- سطوحها ناعمة مدلوكة دلكاً جيداً.
٤-مطلية بطلاء ناعم من نفس الطينة.
٥-استخدم كور خاص، إذ كانت الآنية صلبة وجيدة الحرق.
٦- تنوعت أشكال الآنية تنوعاً كبيراً لتنوع استخدامها.
٧- زخرفت الآنية من الخارج أو الداخل أو كليهما بمهارة ودقة.
٨- تنوعت زخارف الآنية تنوعاً كبيرً يتفق مع تنوع إستخدامها.
٩- استخدم الألوان.
١٠- ظهور زخارف بشكل حزوز وأُخرى بشكل منحوتات بارزة أُو مجسمة كانت تضاف على سطوح اللآنية فتؤلف تصاميم زخرفية غاية في الجمال والإبداع.

زخارف الاواني في وسط ونهاية العصر الحجري الحديث

١- كانت الزخارف الملونة متنوعة وشملت مشاهد هندسية وطبيعية.
٢- كانت ترسم بلون أو لونين أو ثلاثة ألوان على نفس الإناء وأكثر الألوان شيوعاً (الأسود، الأحمر، البني، الأصفر) .
لقد تم التوصل إلى تنوع اللون بإختلاف مادة التلوين وتغير درجة الحرارة.
٣- أصبحت المشاهد الهندسية تنفذ بمهارة عالية واكتسبت تنوعاً أكثر من السابق. بالإضافة إلى أشكال الخطوط هناك أشكال الزوايا والمربعات والمستطيلات والدوائر وكانت تؤلف بشكل تصاميم زخرفية هندسية معقدة نوعاً ما.
٤- الزخارف الطبيعية مستوحاة من الطبيعة وشملت أشكال العقارب والوعول والضفادع والأسماك والثيران والنمور. وأشكال الشمس والقمر والنجوم.
٥- نفذت اشكال البشر والحيوانات بأسلوب تقريبي فتبدو قريبة من الطبيعة.